الولايات المتحدة تنوي تغيير أسلوبها بعد استعادة حلب من الإرهابيين

لا يزال التقدّم العسكري الميداني الذي يحرزه الجيش السوري بالتعاون مع روسيا والقوى الحليفة، يشكّل خيبة أمل للولايات المتحدة الأميركية التي قادت تحالفاً منذ سنوات للقضاء على «داعش» ولم تفلح، لا بل إنّها سعت في السنة الأخيرة إلى إبعاد بعض التنظيمات الإرهابية عن الاستهداف، بحجّة أنّها «معارضة معتدلة»، لكن «اعتدال» هذه التنظيمات لم يظهر إلا إرهاباً وقتلاً وتنكيلاً، ما أحرج واشنطن مرّات عدّة.

واليوم، ومع تحرير مدينة حلب من رجس الإرهاب، يبقى للولايات المتحدة أن تلجأ إلى خطط بديلة متسارعة، ما يُظهر قلقها من الانتصارات التي تحققها سورية وروسيا.

وفي هذا السياق، تناولت صحيفة «إيزفستيا» الروسية الأوضاع في سورية، مشيرة إلى أن واشنطن وهي تفقد حلب، تُنْشئ مسرحاً جديداً للعمليات الحربية. وقالت الصحيفة ونقلت عن النائب الأول لرئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الاتحاد الروسي فلاديمير جباروف، إنّ هناك صلة مباشرة بين نيّة الولايات المتحدة توسيع رقعة عملياتها العسكرية في المناطق الجنوبية لسورية والعملية الإنسانية، التي بدأت يوم 28 تموز في مدينة حلب الواقعة شمال سورية. وأضاف أن وجود هذه العلاقة لا يرقى إليه شك. فبناءً على أوامر القائد العام الأعلى للقوات المسلحة، باشرت قواتنا بتنفيذ عملية إنسانية ضخمة في حلب. وبعد أن يغادر السكان والإرهابيون، الذين يقرّرون رمي سلاحهم، ستبدأ عمليات تطهير المدينة. وستؤدي نتائج هذه العملية إلى ارتفاع مهابة روسيا في المنطقة أضعاف ما هي عليه الآن. وذلك بالذات ما يخشاه الأميركيون، ولذا يحاولون إظهار أنفسهم كقوة رائدة في النزاع السوري. وإضافة إلى هذا، يبقى لديهم هدفهم الرئيس وهو «إطاحة الرئيس الأسد». لذلك يحاولون إنشاء مسرح جديد للعمليات العسكرية في المناطق الجنوبية من سورية، يكونون أسياداً فيه.

إلى ذلك، نشرت صحيفة «إندبندنت» البريطانية تقريراً لمراسلها كيم سينغوبتا، اعتبر فيه أنّ الخطوة الأخيرة التي أقدمت عليها «جبهة النصرة» بتغيير اسمها وإعلان الانفصال عن تنظيم «القاعدة»، لن تؤدّي إلى وقف الغارات الجوّية التي تشنّها روسيا أو التحالف الدولي الذي تقوده أميركا على مواقعها.

THE INDEPENDENT

«إندبندنت»: تغيير الاسم لن يمنع قصف مواقع «جبهة النصرة»

نشرت صحيفة «إندبندنت» البريطانية تقريراً لمراسلها كيم سينغوبتا يعود فيه بالذاكرة إلى تشرين الثاني الماضي عندما أعلنت روسيا بدء حملتها الجوّية في سورية للحرب ضدّ الإرهاب.

ويقول إن الصحافيين سألوا وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف حينذاك عن وجهة نظر بلاده في تحديد هوية الإرهابيين فردّ قائلاً: إن كان يبدو مثل الإرهابيين ويتحدّث مثل الإرهابيين ويقاتل مثل الإرهابيين فإنه من الإرهابيين.

ويعتبر سينغوبتا أن الخطوة الاخيرة التي أقدمت عليها «جبهة النصرة» بتغيير اسمها وإعلان الانفصال عن تنظيم «القاعدة»، لن تؤدّي إلى وقف الغارات الجوية التي تشنّها روسيا أو التحالف الدولي الذي تقوده أميركا على مواقعها.

ويشير أيضاً إلى أنّ التحالف الدولي شنّ غارات على مواقع لتنظيم «خراسان» الموالي لـ«جبهة النصرة» فور بدء العمليات الجوّية ضدّ تنظيم «داعش» في سورية وذلك قبل نحو شهرين من بدء التدخل الجوّي الروسي.

ويضيف سينغوبتا أن الجبهة كانت تأمل في أن يتم رفعها بعد القرار الأخير من لائحة المنظمات الإرهابية الأميركية لكن المؤشرات الأولية غير مبشرة.

وينقل سينغوبتا عن المتحدّث باسم الخارجية الأميركية جون كيربي قوله «إننا لا نعتقد أنه سيكون هناك تغيّر في أفعالهم وتوجهاتهم وأهدافهم، وهم حتى الآن ضمن لائحة المنظّمات الإرهابية الأجنبية، فنحن نصنّف الناس بأفعالهم لا بأسمائهم».

ويقول سينغوبتا إنه على رغم عدم تعليق الكريملين حتى الآن على خطوة «جبهة النصرة»، إلا أنّ المقاتلات الروسية شنّت غارات يوم الجمعة على قاعدة للجبهة في إدلب.

ИЗВЕСТИЯ
WWW.IZVESTIA.RU

«إيزفستيا»: واشنطن ترتاع من نفوذ موسكو في سورية

تناولت صحيفة «إيزفستيا» الروسية الأوضاع في سورية، مشيرة إلى أن واشنطن وهي تفقد حلب، تُنْشئ مسرحاً جديداً للعمليات الحربية.

وجاء في المقال: هنالك صلة مباشرة بين نيّة الولايات المتحدة توسيع رقعة عملياتها العسكرية في المناطق الجنوبية لسورية والعملية الإنسانية، التي بدأت يوم 28 تموز في مدينة حلب الواقعة شمال سورية. جاء ذلك في تصريح أدلى به النائب الأول لرئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الاتحاد الروسي فلاديمير جباروف لـ«إيزفستيا».

وأضاف أن وجود هذه العلاقة لا يرقى إليه شك. فبناءً على أوامر القائد العام الأعلى للقوات المسلحة، باشرت قواتنا بتنفيذ عملية إنسانية ضخمة في حلب. وبعد أن يغادر السكان والإرهابيون، الذين يقرّرون رمي سلاحهم، ستبدأ عمليات تطهير المدينة. وستؤدي نتائج هذه العملية إلى ارتفاع مهابة روسيا في المنطقة أضعاف ما هي عليه الآن. وذلك بالذات ما يخشاه الأميركيون، ولذا يحاولون إظهار أنفسهم كقوة رائدة في النزاع السوري. وإضافة إلى هذا، يبقى لديهم هدفهم الرئيس وهو «إطاحة الرئيس الأسد».

لذلك يحاولون إنشاء مسرح جديد للعمليات العسكرية في المناطق الجنوبية من سورية، يكونون أسياداً فيه.

وقد أعلن وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو أن العملية الإنسانية تُجرى بالتعاون مع الحكومة السورية؛ حيث تم فتح ثلاثة ممرات لخروج السكان من المدينة وممر رابع لخروج الإرهابيين الراغبين في رمي سلاحهم والعودة إلى الحياة الطبيعية.

وقد نشر المركز الروسي لتنسيق المصالحة في نهاية هذه الممرات مراكز لتقديم الطعام الساخن للخارجين من المدينة، وكذلك نقاطاً طبية لتقديم الخدمات والإسعافات الطبية اللازمة لمن يحتاج إليها منهم.

في هذه الأثناء، أصبح معلوماً أن الرئيس السوري بشار الأسد وقّع مرسوماً بالعفو العام عمّن يلقي سلاحه ويسلّم نفسه إلى السلطة.

وجاء في المرسوم، التي تورد مقتطفات منه وكالة «سبوتنيك» الروسية: «كل من حمل السلاح أو حازه لأيّ سبب من الأسباب وكان فارّاً من وجه العدالة أو متوارياً عن الأنظار، يعفى عن كامل العقوبة متى بادر إلى تسليم نفسه وسلاحه للسلطات القضائية المختصة، أو أيّ من سلطات الضابطة العدلية خلال ثلاثة أشهر من تاريخ صدور هذا المرسوم التشريعي، سواء بوشر في الإجراءات القضائية بحقه أو لم تتم المباشرة بها بعد».

وكان وزير الدفاع الأميركي آشتون كارتر قد أعلن، يوم 27 تموز الجاري، أن واشنطن تدرس إمكان توجيه ضربات إلى «داعش» في سورية من الاتجاه الجنوبي.

جاء ذلك في الكلمة التي ألقاها في قاعدة «فورت بريغ» العسكرية في ولاية كارولينا الشمالية. ويذكر أن القسم الأعظم من الضربات الأميركية حالياً يتركز في المناطق الشمالية والشمالية ـ الشرقية لسورية.

من جانبه، قال المحلل السياسي السوري أحمد صوفان لـ«إيزفستيا» إن الولايات المتحدة أعلنت عن توسيع مناطق عملياتها العسكرية، وتظهر عنادها وتحاول التعويض عمّا لا يمكن تعويضه.

ففي حقيقة الأمر، لحقت الهزيمة بالأميركيين والموالين لهم. وبعد تطويق حلب، وقطع طرق إمدادات مسلحي «داعش» المحاصرين في المدينة، وبدء العملية الإنسانية وفتح الممرات لخروج السكان، بدا واضحاً أن المدينة ستطهّر من الإرهابيين؛ وهذا يشكل خسارة كبيرة للولايات المتحدة. ومع ذلك، فهي تظهر عناداً لا أساس له، وتبحث عن مناطق جديدة لنشر نفوذها. الأميركيون يبحثون بكل قواهم عن دور جديد لهم في النزاع السوري. ولكن مثل هذا الدور ببساطة غير موجود لهم.

KURIER
UNABHÄNGIGE TAGESZEITUNG FÜR ÖSTERREICH

«كوريير»: يونكر يحذّر من انهيار الاتفاق الأوروبي ـ التركي في شأن المهاجرين

حذّر رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر في مقابلة أجرتها معه صحيفة «كوريير» النمسوية، من خطر انهيار الاتفاق الذي أبرمه الاتحاد الأوروبي مع تركيا لضبط تدفق المهاجرين غير الشرعيين من أراضيها باتجاه أوروبا الغربية.

وقال يونكر إن الخطر كبير. وإنّ نجاح الاتفاق لا يزال حتى الآن هشّاً. الرئيس أردوغان لمّح مراراً إلى أنه يريد إعادة النظر فيه. وأضاف أنه في حال حصل هذا الأمر، يمكننا عندئذ أن نتوقع أن يعاود المهاجرون المجيء إلى أوروبا.

ويهدف الاتفاق الذي تمّ التوصل اليه في آذار بين الاتحاد الأوروبي وتركيا إلى وقف عبور المهاجرين من الساحل التركي إلى الجزر اليونانية، ويسمح بإعادة المهاجرين إلى تركيا، ومنهم طالبو اللجوء السوريون الذين وصلوا إلى اليونان بعد 20 آذار.

وأدّى هذا الاتفاق إلى انخفاض كبير في أعداد المهاجرين الوافدين إلى أوروبا، لكن محاولة الانقلاب العسكري الفاشلة التي شهدتها تركيا في 15 تموز أثارت مخاوف كثيرين من عرقلة تطبيق هذا الاتفاق.

وبعد ثلاثة أيام على المحاولة الانقلابية، أقيل المسؤولون الأتراك المكلفون مراقبة تطبيق الاتفاق في شأن المهاجرين في الجانب اليوناني ولم يُعيَّن مسؤولون في أماكنهم.

من جهة أخرى، قال المسؤول الأوروبي انه قلق جدّاً من التطوّرات الأخيرة داخل الاتحاد الأوروبي، خصوصاً في المجر وبولندا.

وقال: في بولندا، تمسّ تحركات الحكومة دولة القانون (...) وأراقب بقلق الاستعدادات للاستفتاء حول المهاجرين في المجر.

وأمهلت المفوضية الأوروبية الأربعاء بولندا ثلاثة أشهر لإعادة النظر في عمل محكمتها الدستورية باسم حماية دولة القانون.

أما في المجر، فقد وصف رئيس الحكومة فكتور أوربان هذا الاسبوع الهجرة بأنها «سمّ» لأوروبا. وقال إنّ بلاده ليست بحاجة إلى أيّ مهاجر.

وقال يونكر: إذا أجريت استفتاءات حول كل قرار لمجلس الوزراء (الأوروبي) والبرلمان الأوروبي، فإن الامن القانوني سيكون في خطر. وأضاف أنه على المفوضية الأوروبية أن تطلق فعلياً ـ ولسنا في هذه المرحلة بعد ـ إجراءات ضدّ المجر لمخالفتها الاتفاقيات. لكن أوربان سيقول آنذاك إن المفوضية تجرّ الشعب المجري إلى القضاء.

Cumhuriyet

«جمهوريت»: لا ديمقراطية ولا حقوق إنسان في تركيا

شنّ الصحافي التركي المناهض لحكومة بلاده جان دوندار حملة على الضغوط الحكومية المتزايدة على وسائل الإعلام في تركيا.

وقال دوندار، وهو رئيس تحرير صحيفة «جمهوريت» التركية في لقاء له اليوم الجمعة مع قناة «في دي آر» الألمانية خلال برنامج «الساعة الحالية»، إن المرء لا يكاد يستطيع أن يتنفّس.

وأضاف دوندار قائلاً: لا حقوق ولا ديمقراطية ولا حقوق إنسان في تركيا. مشيراً إلى أن موجة الاعتقالات الحالية بعد محاولة الانقلاب الفاشلة تشمل وسائل الإعلام والقضاء والقوات المسلحة، وتسببت في إشاعة جوّ عام من الصمت والرقابة الذاتية بين الصحافيين.

حُكم على دوندار في أيار الماضي بالسجن خمس سنين وعشرة أشهر، وأدانته المحكمة بنشر وثائق سرّية تثبت توريد أسلحة تركية إلى الإرهابيين في سورية خلال عام 2015.

ويعيش دوندار مطلق السراح حتى جلسة الاستئناف المقبلة.

وانتقد دوندار مساندة الساسة الأوروبيين عموماً، والألمان بصفة خاصة للرئيس التركي رجب طيب أردوغان.

وقال دوندار: نحن نعلم أن سبب ذلك اتفاقية اللاجئين المبرمة بين تركيا والاتحاد الأوروبي، لذلك غضوا الطرف عن انتهاكات أردوغان.

ونصح دوندار بدعم القوى الديمقراطية في تركيا، ودعا الأتراك الذين حموا البلاد من الانقلاب أن يحموها الآن أيضاً من الدولة البوليسية.

ИЗВЕСТИЯ
WWW.IZVESTIA.RU

«إيزفستيا»: على كلينتون البحث عن أعدائها في مقرّها الانتخابي لا في موسكو

تناولت صحيفة «إيزفستيا» الروسية حملة الانتخابات الأميركية، مشيرة إلى أن المتنافسين يحاولون زجّ روسيا في حرب المستمسكات بينهم.

وجاء في المقال: قال مصدر مطّلع لـ«إيزفستيا» إن تسريب مراسلات مسؤولي «الحزب الديمقراطي» الإلكترونية، هو من فعل أحد العاملين في جهاز الحزب نفسه. وبحسب قوله، فإن هيلاري كلينتون وحليفتها الرئيسة ديبي واسرمان ـ شولتز، رئيسة اللجنة الوطنية في الحزب، أوجدتا لنفسيهما عدداً كبيراً من الأعداء حتى بين مرؤوسيهما.

كما يذكر الخبراء بأن الحملة الانتخابية في الولايات المتحدة تدخل مرحلتها الحاسمة، وأن حرب المستمسكات ستكون جزءاً لا يتجزأ منها. وقد وصف المصدر، الذي يعرف جيداً المطبخ السياسي في الولايات المتحدة من الداخل، في حديثه مع «إيزفستيا»، محاولات اتهام روسيا بسرقة هذه المراسلات الإلكترونية، وتسليمها إلى «ويكيليكس»، بالسخيفة. وهي بحسب قوله أكثر من أن تكون مبتذلة.

وأضاف المتحدّث إلى الصحيفة أن أحداً ما من الديمقراطيين قام بتسريب المراسلات الإلكترونية؛ لأن واسرمان ـ شولتز ليست محبوبة كثيراً، وكذلك المرشحة الرئاسية. ولذا، فهما لا تتمتعان بدعم كامل حتى بين العاملين في مقرهما الانتخابي، وإن كثيرين يكرهونهما. أي أن هناك عدداً كبيراً من الأشخاص وبكل سرور يمكنهم القيام بمثل هذه الأعمال حتى من دون مقابل، وفقط للتشفي أو حباً في الانتقام.

ومن الجدير بالملاحظة أن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، عندما طُلب منه التعليق على ما يشاع عن «الأثر الروسي»، لمّح إلى أن هذا يمكن فعله فقط بكلمة غير مخصّصة للنشر.

أما باراك أوباما، الذي كان قد أعلن عن دعمه غير المشروط لهيلاري، التي أصبحت المرأة الأولى المرشحة لرئاسة الولايات المتحدة، فلم يبق له شيء سوى التأييد الحذر لرواية «الأثر الروسي». غير أنه امتنع عن توجيه أصابع الاتهام بصورة مباشرة، وآثر الاكتفاء بعبارات عامة حول التحقيقات، التي يجريها مكتب التحقيقات الفدرالي، وفي شأن زيادة نشاط القراصنة الإلكترونيين.

ويعتقد الباحث العلمي في مركز دراسات أميركا الشمالية سيرغي كيسليتسين أن تسريب مراسلات الديمقراطيين الإلكترونية هي ظاهرة عادية في المرحلة الحالية من الحملة الانتخابية.

فبعد أن حُدّد المرشحان لخوض الانتخابات، يمكن أن تبدأ منافسة شديدة تتميز بها الانتخابات الأميركية. والديمقراطيون يحاولون قدر الإمكان استخدام «الأثر الروسي»، خصوصاً أن كلينتون كما يبدو تحاول جعل السياسة الخارجية أحد أهم شعارات حملتها الانتخابية؛ حيث تؤكد باستمرار على أن ترامب لا يفقه شيئاً فيها.

وبحسب رأي كيسليتسين، فإن توجيه الاتهام إلى روسيا لن يخدم كلينتون، لأن العلاقة هنا غير واضحة وكل شيء مشكوك فيه.

أما حديث ترامب عن التعاون مع روسيا فهو جزء من برنامجه الانتخابي، الذي يتضمّن خطوات غير معروفة للرأي العام الأميركي. كما أنه يرفع شعارات أخرى هي موضع نقاش، حول الهجرة مثلاً وحول رفض دعم الحلفاء في الناتو وحول منظمة التجارة العالمية وغيرها. وليس معروفاً كيف سيتعامل الناخب مع نزعته الانعزالية.

وأضاف أن قوة ترامب تكمن في أنه يقدّم نفسه بديلاً للنخبة الكلاسيكية. ولكن عدداً من الناخبين الشباب، خصوصاً في الولايات المتحدة اليوم يفضلون قوة ثالثة على كلينتون وترامب. لذلك من السابق لأوانه الحديث عن تفوق ترامب، لأن المنافسة بدأت للتو.

تقرير

الحرب الفرنسية ضدّ «داعش» يجب ألّا تكون في سورية

نشرت مجلة «فورين بوليسي» الأميركية تقريراً جاء فيه: لقد كان هذا الصيف ساخطاً في أوروبا الغربية، وفرض ضريبته على الحياة والروح المعنوية والمزاج العام. وعملياً كل يوم هناك تقارير جديدة عن هجوم جديد، يحدث إما من قبل شبان مضطربين، أو من الذين يقودون تنظيم «داعش» لضرب «الصليبيين»، أو كليهما. وتزداد الأسلحة على نحو كبير من الشاحنات المستأجرة لسكاكين المطبخ، ومعظم الفرنسيين ـ النساء خصوصاً لأسباب منطقية ـ يضعون لأنفسهم إنذاراً آخر مع كل ضربة جديدة من الدولة المتزايدة. هذا هو الوضع الطبيعي الجديد، كما أعلن رئيس الوزراء الفرنسي، مانويل فالس، وحذّر أن الاختيارات محصورة بين مواجهة الأمر معاً، أو الفزع وفقد السيطرة على هذه المؤامرة.

ومنذ الهجوم على كنيسة في سانت إتيان دو روفاري، إحدى ضواحي الطبقة العاملة في روان في منطقة نورماندي هذا الأسبوع، أصبحوا يشعرون بشعور مختلف حول مرحلة ما بعد تنظيم «داعش»، من فتنة طائفية، ومن الناحية الرمزية، فإن أيقونية هجوم 26 تموز لا يمكن أن تكون أشدّ حدّة. كاهن ثمانينيّ ضعيف نُحرت رقبته على المذبح خلال القدّاس الصباحي، مع وجود جماعة صغيرة من ثلاث راهبات كاثوليكيات، واثنين من أبناء الرعية المسنّين، في راكدة نورمان، في مشهد يبدو كأنه لوحة دامية من القرون الوسطى. هذا هو بالضبط نوع من التصوّر الذي يقوم عليه تنظيم «داعش»، ويظهر ذلك بوضوح في «خلافة الشرق الأوسط»، وفي جزء من أوروبا، التي كانت قد أغلقت هذا الفصل من الماضي المظلم وتركته للمتاحف.

وليس من المرجح أن يحصل الجهاديون على الحرب الأهلية الشاملة كما يريدون، لكن قد يصبح الوضع قاتماً جدّاً، إذا لم يتخذ السياسيون الفرنسيون والجمهور تحركاتها القليلة المقبلة بشكل صحيح. وبعد يوم من الهجوم على الكنيسة، بدا الرئيس فرانسوا هولاند بفعل الشيء الصحيح، عندما التقى كبار الزعماء الدينيين في البلاد، الذين اجتمعوا معاً لإصدار دعوة إلى الوحدة. وأعرب إمام مسجد باريس الرئيس، دليل أبو بكر، عن حزنه العميق إزاء الهجوم، وقال إنّ أيّ تدنيس للمقدّسات هو كفر، ويخالف كل تعاليم ديننا. كما دعا إلى تشديد الإجراءات الأمنية، والتدريب الأفضل لرجال الدين، وإصلاح المؤسسات الفرنسية المسلمة.

وبالطبع إنه على حق، لكن بينما نحن في ذلك الوضع، هناك إصلاحات وسياسات أخرى كثيرة، أعادت التفكير في أن فرنسا تحتاج إلى وضع يوجد على رأس جدول الأعمال. وفي الجزء العلوي من القائمة، يجب معرفة كيف يمكن للبلد أن تنتهي حربها ضدّ تنظيم «داعش».

فرنسا ـ أكثر من أيّ دولة غربية أخرى ـ ثبت تعرّضها بشكل خاص لهذه العلامة التجارية التدميرية الجديدة من الجهادية. وهذا ليس مجرد شعور ـ فقد تم إثبات تلك الحقيقة، عندما نشرت ويليام مكانتس وكريستوفر ميسرول هذه السنة نتائجهما البحثية الأولية في الشؤون الخارجية، التي أظهرت فرنسا، والبلدان الناطقة بالفرنسية، الأكثر عرضة لخطر الهجمات المتطرفة والجهادية، وهنا تتحدث الأرقام عن نفسها: ففي فرنسا حدثت تسع هجمات، بما في ذلك اعتداء «شارلي إيبدو»، وهجوم 13 تشرين الثاني في باريس، وهجوم شاحنة نيس، ما أدّى إلى تمزق في فرنسا في الأشهر الـ18 الماضية، والشعب الفرنسي المتمتع بالمرونة الشهيرة، تجمع في كانون الثاني 2015، وبدأوا في اليأس.

ولمعرفة لماذا تتصدّر فرنسا الرسوم البيانية في الهجمات الجهادية، وما ينبغي القيام به حيال ذلك، فإن ذلك يتطلب خبرة (ولدى فرنسا منها الكثير) والمرونة في اعتماد وتنفيذ سياسة أعادت التفكير (التي تفتقر إليها بشدة). وهنا مكان جيد للبدء: والجدال هنا حول أن آلة الدعاية لتنظيم «داعش» وضعت هدفاً تضجّ به مراراً وتكراراً، لحثّ أنصارها على استهداف فرنسا، يجعل احتمال التدخل العسكري لباريس في بلاد المسلمين قائماً.

وتشارك فرنسا في عمليات عسكرية في جميع أنحاء منطقة الساحل وشمال أفريقيا، كذلك مع قوات التحالف، التي تقودها الولايات المتحدّة ضدّ تنظيم «داعش» في سورية والعراق، وبعد كلّ هجوم جهادي، يتعهّد أولاند بالمزيد من النار والكبريت ضدّ التنظيم البربري، ففي أعقاب هجمات 13 تشرين الثاني في باريس، التي أسفرت عن مقتل 130 شخصاً، قصفت الغارات الجوية الفرنسية مدينة الرقة في سورية. وبعد هجوم نيس، أبقى هولاند أغاني الحرب في خلفية خطابه المتلفز للأمة، الذي قال فيه: لا شيء يجعلنا نضعف عن عزمنا في محاربة الإرهاب. وسنتمكن من تعزيز أعمالنا في العراق وسورية. وكيف لتلك الضربات الجوية أن تفعل شيئاً في شاب تونسيّ مختلّ وعنيف، ولا علاقة له بهذه الجماعة الجهادية، دفع بشاحنة مستأجرة في حشد يصعب فيه تخمين شخصية أيّ أحد. ويوم الثلاثاء أعاد هولاند ذلك مرة أخرى، عندما تعهّد بكسب الحرب بالوسائل كافة.

تكرّر الشعار إلى حدّ الغثيان، على لسان الطبقة السياسية الفرنسية، حتى أصبح النقاش قليلاً أو معدوماً في شأن «إلى أين يقود ذلك البلاد؟»، وبعد ما يقارب سنتين، انضمت فرنسا إلى التحالف ضدّ تنظيم «داعش»، وتغيرت الأوضاع على الأرض في سورية والعراق إلى حدّ كبير. و تحوّلت الحرب في الشرق الأوسط إلى قتال حتى النهاية بين السنّة والشيعة. وفي سورية، فرنسا وما يسمّى الغرب، عالقون على الجانب الذي تمثله المملكة العربية السعودية، وهي مملكة تسودها الحركة السلفية، إذا كيف ولماذا نحن عالقون على هذا الجانب من الصراع في سورية، وما الخطة الممكنة لدينا لملء فجوة الطاقة، التي ستنتج عن رحيل بشار الأسد، المطلوب من فترة طوية، على حدّ تخمين أيّ شخص.

لكن كلّ زعيم يحبّ حرباً جيدة، بعد أي هجوم إرهابي قاتل، والسياسيون الفرنسيون ليسوا استثناء. وعبّر كل من قادة الأحزاب السياسية الرئيسة في فرنسا عن معارضتهم للعمليات العسكرية في العراق وسورية. وأن القيام بذلك ليس وصفة جيدة للفوز بالانتخابات، خصوصاً عندما اهتزّ الرأي العام بالتهديد الأخير. إنهم يعتقدون بشكل ساحق أن عليهم فعل شيء، ويتضمن هذا الشيء العمليات العسكرية في مسرح آخر للحرب.

ومنذ نفّذ تنظيم «داعش» عمله الإرهابي الأوّل، وأطلّ بوجهه القبيح في فرنسا عام 2014، أكد سياسيون وخبراء وقتذاك أن البلاد تفتقر إلى الموارد وأفراد الأمن لمراقبة المشتبه بهم، والحفاظ على أمن البلاد. وبعد ذلك بسنتين، أصبح نقص الموارد، والمعروف باسم «هذا كبير جداً على أن تتعامل معه» حجّة، لا تزال تخرج في أعقاب كل اعتداء جديد. وذهبت الجهود المبذولة لمكافحة التطرف في فرنسا سدى. ووصلت حمى الاشتراك في الجماعات الجهادية بين الشباب الضال، مرحلة لم يسبق لها مثيل، واستمرت الاستجابة الفرنسية أن تكون في كل مكان. وفي الوقت نفسه يتم إهدار الوقت والطاقة والموارد في العمليات العسكرية الأجنبية.

ولم تكن صيحات الاستهجان، التي أطلقها فالس بصوت عال خلال تأبين ضحايا الهجوم الذي وقع في نيس مفاجأة لأحد، فالشعب الفرنسي لديه ما يكفي من الثغرات الأمنية. واليمين السياسي هو القوة الصاعدة في فرنسا وباقي أوروبا، وترتفع أسهمه مع كل هجوم، مقارنة بشعبية هولاند، التي وصلت مستويات قياسية في التدني، قبل سنة من الانتخابات الرئاسية عام 2017.

إذا كانت هناك أيّ دروس أمنية يمكن استخلاصها من الهجوم على كنيسة نورماندي، فهي ليست جديدة. ومرة أخرى، أحد المهاجمين ـ وهو مجرّد مراهق يدعى عادل كميش ـ كان على قائمة المراقبة «S» بعد محاولة فاشلة في الوصول إلى سورية مرّتين، ووُجّهت إليه تهمة التآمر لارتكاب جريمة مع منظمة إرهابية واعتُقل حتى آذار، وأطلق سراحه بكفالة في انتظار المحاكمة، ووُضع تحت الإقامة الجبرية، المزوّدة بأجهزة مراقبة إلكترونية، التي سمحت له بمغادرة منزله في يوم من الأسبوع من الساعه 08:00 حتى 12:30، ووقع الهجوم في 9:25 في صباح قداس الثلاثاء.

ولأن الهجوم وقع في محل تواجد كميش في سانت إتيان دوروفاري، فلم يطلق السوار أيّ تنبيه. وبعبارة أخرى، كان المهاجم يرتدي سوار المراقبة في يده وهو يشق حلق جاك هامل الكاهن المسنّ. ما يعني بوضوح ضرورة تشديد شروط الإقامة الجبرية للمتهمين بالإرهاب. وهذا يعني أيضاً زيادة الاحتياجات الأمنية للتشديد على الكنائس ـ كما الحال في دور العبادة اليهودية والمسلمة ـ والنقاش في هذه الأيام هو، ظاهرياً، عمّا إذا كان يريد الفرنسيون الإجراءات الأمنية على غرار «الإسرائيلية»، لكنه يأتي بالفعل في وقت متأخر جداً على هذه المناقشة. وقد جعلت رأي الجمهور واضحاً جداً، مطالبين بتشديد الأمنيات مرة أخرى، وأنهم على استعداد للعيش مع وجود أمنيّ معزّز في الأماكن العامة.

ومن غير المفيد التدابير من النوع، الذي اتخذ يوم الأربعاء من خلال قيادة صحيفة «لوموند» الفرنسية، جنباً إلى جنب مع محطة التلفزيون الفرنسية «BFM»، وعدد من الوكالات الأخرى، بعدم نشر صور المهاجمين «لتفادي وقوع تمجيد بعد وفاته». وقد حذت الدولة حذوها، فبدأت بتغيير سياستها وتحديد الجهاديين من الحروف الأولى من أسمائهم فقط، أو الأسماء الأولى، وبطبيعة الحال، لدى وسائل الإعلام مسؤوليات، لا سيما في هذه الأوقات القلقة. لكن عدم نشر صور المهاجمين الجهاديين لا يصبّ في مصلحة تهدئة الجمهور أو إعطاء فرصة للسلام، ما يجعل من الصعب على المجتمع الفرنسي بأسره، فهم التهديد الذي يواجهه.

ويحبّ السياسيون الفرنسيون استخدام مصطلح «la guerre» أو «الحرب» للحديث عن الحرب ضدّ الإرهاب. وما لا يريدون استيعابه وتقبّله، أن هذا في الواقع حرب ضدّ أنفسهم. وقد أجريت جميع الهجمات الجهادية الكبرى في فرنسا على مدى الأشهر الثمانية عشر الماضية، من قبل مواطنين فرنسيين أو مقيمين. الآن، لن يقوم بالحرب سوى الفرنسيين، الذين بالكاد يفهمون الحياة ويعيشون في جزء من العالم، في مجتمع لا يتيح لهم حرية التنقل. ومع كل هجوم، فإنهم سيموتون كما مجهولي الهوية، والوحش مجهول، ما يجعل فهم الخطر المحدق بهم، أكثر صعوبة بالنسبة إلى الجمهور، والطريقة الوحيدة لإحباط هذا التهديد هو عن طريق قتل نداء الجهاد من جذوره. أما بالنسبة إلى تمجيد القاتل بعد وفاته، الذي يجري القيام به بشكل جيد للغاية في طبقة الجهاديين، فإنه من غير المنتظر أن يتطلع إلى أمثال «لوموند»، لإكرامه بعد «الاستشهاد».

أما بالنسبة إلى معالجة جذور المشكلة، فمرة أخرى، إن الهجوم على الكنيسة من الدروس التي كان يجب أن نتعلمها منذ سنوات. ونبّهت أسرة كميش السلطات الفرنسية إلى تطرّفه. وقالت والدته، التي تعمل مدرّسة، لليومية السويسرية الناطقة بالفرنسية «تريبيون دو جنيف»، إن هجمات مجلة «شارلي إيبدو» في كانون الثاني 2015، كانت بمثابة الفتيل على المراهق، وقالت نحن لا يمكننا ممارسة ديننا بسلام في فرنسا، أضافت: كان يتحدث بكلمات لا تنتمي إليه، كان مسحوراً وكأنه كان في عبادة. وبعد فترة وجيزة، واجهت العائلة الصبيّ بحساب سرّي على «فايسبوك» اعتاد على الاتصال منه بشباب متطرّفين آخرين، جعلوا كميش يقوم بأوّل محاولة له للذهاب إلى سورية.

ومن الملاحظ وجود عائلة فرنسية أخرى تتوسم المساعدة لأن فتى منها تورط في قضية انتحار، وتحتاج الدولة إلى بذل المزيد من الجهد لمساعدة هذه الأسر والتصدّي للمشاكل المنزلية، التي ستكون أكثر صعوبة بكثير للقيام بها، في حين أنها تجعل من نفسها هدفاً سهلاً عن طريق شنّ الحروب في بلاد بعيدة، مع عدم وجود نهاية تلوح في الأفق.